الفصـــل الخـــامس

فلســـطين عربيـــة إســـلامية

١ ــ منـذ فجـر التـاريخ :

أول من أقام بهذه البقعة المباركة ، وأنشأ مدينة القدس هم « اليبوسيون » . وهم بطن من بطون العرب الأوائل الذين نزحوا من الجزيرة العربية حوالي عام ٢٥٠٠ – ٣٠٠٠ ق.م ، وقد استوطنوا هذه البلاد ، وارتبطوا بترابها ، وأصبحوا أهلها وسكانها الشرعيين . وأول من اختط مدينة القدس هو ملكهم « مليك صادق – ملكيصادق » الذي عرف باسم ملك السلام .. ومن هناك جاء اسم المدينة : مدينة السلام (سالم) ، وعرفت باسمها الكنعاني : أورو سالم (ينطقها العبرانيون : أور شليم » ، وقد سماها الفراعنة منذ القدم : « يبوس »[١].

« كان العبرانيون يبحثون عن مستقر يقيهم « تيه » الصحراء ، بعد الخروج من مصر ، و ستمروا في محاولتهم دخول القدس وأرض كنعان – التي رحل عنها يعقوب عليه السلام وأبناؤه فيما قبل – حتى جاءوها غزاة بقيادة (يوشع) حيث استولى على (أريحا) ، وكان ذلك في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد – ق.م. ، ولم يدخل اليهود القدس إلا في عصر متأخر جداً على يد داود عليه السلام »[٢] – حيث اتخذها عاصمة لمملكته حوالي عام ١٠١٢ ق.م ، واستمر حكمه حوالي ٤٠ عاماً ، ثم خلفه ابنه سليمان الذي تولى الحكم من ٩٧٣ ق.م حتى ٩٣٣ ق.م .

وبعد وفاة الملك سليمان عليه السلام ، استولى فرعون مصر « شيشناق » أول ملوك الأسرة ٢٢ على القدس عام ٩٣٠ ق.م.[٣]، وانقسمت مملكة سليمان إلى قسمين :

١ – إسرائيل في الشمال ، وعاصمتها « نابلس » وقضى عليها ملك آشور ولم تقم لها قائمة بعدها .

٢ – يهوذا في الجنوب ، وعاصمتها « أورشليم » ودمرها نبوخذ نصر البابلي ٥٩٩ ق.م وسبى أهلها وأرسلهم إلى بابل ودمر هيكل سليمان .

وقبل ذلك دارت مع جيرانهم حروب كثيرة وساد التنازع السياسي والفساد الداخلي ، مما أدى إلى دمار دولتهم الهزيلة ، ولم يقم لهم كيان بعد ذلك[٤].

---

(١) ، (٣) أحمد الملا – القنصل المصري السابق بالقدس – صحيفة الأخبار ١٩٨٤/٤/٩ ، قصة غزو فلسطين قديماً وحديثاً – محمد عزة دروزة – ص ٢٢ – ٢٣ .

(٢) ، (٤) المسلمون واسترداد بيت المقدس - الشيخ محمد الفحام ص ٩ .

وفي الوقت الذي دام فيه وجود العرب – سكانها الأصليين – في القدس حوالي خمسة آلاف عام (٣٠٠٠ ق.م – ١٩٤٨م) ، لم تدم الفترة التي كان لليهود وجود فيها من الناحية السياسية في فلسطين سوى ثمانين عاماً (فترة ملك داود وسليمان عليهما السلام)[١].

وبعد استيلاء نبوخذ نصر على القدس ٥٩٩ ق.م ، ظلت القدس طوال القرنين السادس والخامس وحتى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد بين أيدي الفرس والكنعانيين .. حيث استولى عليها الامبراطور قورش الفارسي عام ٦١٤ ق.م ، وكذلك استولى عليها الاسكندر الأكبر المقدوني بعد عشر سنوات من عام ٣٣٢ ق.م ، ثم استولى عليها البطالمة[٢].

٢ – بدء التاريخ الميلادي :

منذ بدء التاريخ الميلادي ، وبعد اعتناق الامبراطور الروماني قسطنطين الديانة المسيحية واتخاذها ديناً رسمياً للامبراطورية ، تعرض اليهود للإبادة مرتين[٣] في القدس على يد الرومان – انتقاماً لما تعرض له المسيحيون الأوائل من دسائس واضطهاد وتعذيب وقتل على أيدي اليهود .

(أ) المرة الأولى : حين دمر الحاكم الروماني تيطس القدس عام ٧٠م . ودمر الهيكل الثاني (الذي جدده هيرود الأدومي الأصل عام ١٨ ق.م) ، وطرد اليهود بالكامل عام ١٣٥م .

(ب) وأما هرقل ملك الروم فقد أصدر أمراً بعد توليه الحكم عام ٨٢٦م. – أي قبل سنوات قلائل من الفتح الإسلامي لفلسطين – بإبعاد اليهود عن القدس مسافة ثلاثة أميال .

وبذلك انقطع الوجود اليهودي عن القدس بحوالي سبعة عشر قرناً من الزمان ، كانت خاضعة خلالها للحكم اليوناني – البطالمة ثم الروماني حتى جاءها الفتح العربي الإسلامي .

ومما تقدم يتبين لنا أن وجود اليهود بمدينة « القدس » لم يكن إلا بعد وجودها بعشرين قرناً من الزمان (ألفي عام) ؛ وبعد أن تحضرت على يد أصحابها الفلسطينيين ذوي

---

(١) توج الملك طالوت « شاؤول » ملكاً قبلهما حوالي عام ١٠٣٠ ق.م. ولكنه لم يستمر طويلاً إذ سرعان في حروبه ضد الفلسطينيين الكنعانيين .

(٢) رجب البنا – صحيفة الأهرام – مقال : ضد التاريخ ١٩٩٠/٥/٢٠ .

(٣) المصدر السابق – القنصل المصري أحمد الملا ، ومجلة « الوعي الإسلامي » عدد ٢٣٥ رجب ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

الأصل العربي .

كما يتبين أن وجودهم بها حدث واستمر كغزاة ، تقوم العلاقة بينهم وبين أصحاب الأرض الأصليين على هذا الأساس ، كما يتبين أيضاً أن كيانهم السياسي لم يقم بهذه الأرض – أرض كنعان / غرب الأردن – إلا في فترة متأخرة قبل الميلاد ولفترة لا تكاد تذكر إذا قيست خمسين قرناً مرت على هذه الأرض وهي مأهولة متحضرة »[1].

٣ – بعد الفتح الإسلامي :

« إن حجر الأساس وأول لبنة للوجود الإسلامي في القدس والأرض المباركة هي رحلة الإسراء والمعراج برسولنا الكريم سيدنا محمد ﷺ » .

فقد اجتمعت في تلك الليلة المباركة بأرض المسجد الأقصى أكرم وأخلد وأرفع مجموعة عرفها هذا الكون من البشر والملائكة ، حيث أمَّ رسولنا الكريم سيدنا محمد ﷺ الأنبياء في الصلاة تلك الليلة ، إعلاناً بانتهاء ميراث النبوة والرسالة إلى خاتم الأنبياء والمرسلين – وإلى أمته من بعده – وهيمنته على كل ميراث النبوة باعتباره الوارث الطبيعي الأمين على هذا الميراث والمقدسات .

قال تعالى : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[2].

وعند حائط البراق – وهو الجزء الجنوبي الغربي من جدار الحرم القدسي ـ ربط جبريل عليه السلام البراق في الحلقة التي كان يربط فيها الأنبياء السابقون عليهم وعلى نبينا السلام ، هذا الميراث الإسلامي المقدس ، يدعيه اليهود زوراً وبهتاناً باسم : حائط المبكى – أبكاهم الله من الذل والهوان إلى يوم القيامة حيث يردون إلى أشد العذاب – ويوجد به أيضاً – الصخرة المشرفة ، تلك التي اعتلاها القدم الشريف لرسول الله عليه السلام ، في بداية معراجه من المسجد الأقصى إلى السماوات حيث سدرة المنتهى .

من أجل هذا الميراث المقدس ، يجب على المسلمين اليوم أن يهبوا لاسترجاع الأرض المباركة كلها وتحرير المسجد الأقصى – كواجب ديني قبل كل شيء .

---

(١) المسلمون واسترداد بيت المقدس – الشيخ محمد الفحام .

(٢) المصدر السابق – ص ٧٥ .

(٣) سورة الإسراء : ١ .

يا حكـــام المســـلمين :
للمســجد الأقصـى يـاديكم :
واغوثـــاه ! واغوثـــاد ! واغوثـــاه !
نُكُـــوا إســـاري
رُدُّوا غربـــتي
أعيـــدوا أوْبـــتي
فأنـــا أمـــانٌ لوجودكـــم وبقـــائكم ؛
فمـــن ذ الـذي ادخـــرته الأقـــدار ليكـــون
صـــلاح الديـــن الـــاني ؟
وليكتـــب اسمـــه بحـــروف مـــن نـــور
فـي ســجل الخـــالدين ؟

(أبو بكر خليل)

ثم اتبع رسول الله ﷺ رحلة الإسراء ، غزوة تبوك .

وسار من بعده على الدرب أصحابه وخلفاؤه ، تأذن سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لقائد جيشه بفتح بيت المقدس ، فأرسل أبو عبيدة بن الجراح وقد عسكر بالأردن « **إلى بطارقة أهل إيليا/ القدس وسكانها ، دعوة إلى الإسلام : « فإن شهدتم بذلك ، حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وذراريكم وكنتم لنا إخواناً ، وإن أبيتم فأقروا لنا بأداء الجزية »**[1].

فرفضوا وأبوا ، وبعد احصار والقتال أرسلوا يطلبون الصلح على أن يعطيهم الخليفة بنفسه العهد والأمان ، وقد انتقل إليهم الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بنفسه حقناً للدماء وتوفيراً للجهد والوقت ، فأعطاهم العهد الذي فيه :

« هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لا تهدم كنائسهم ولا تسكن ولا ينتقص منها ولا يزيد من بنائها ولا ينتقص من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ، على :

١ – أن لا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود .

٢ – وأن يخرجوا منها الروم .. »

وهو ما أطلق عليه « العهدة العُمَرية »[2].

---

(١) المسلمون واسترداد بيت المقدس – ص ١٥ .

(٢) المصدر السابق – ص ١٩ .

[وإنا نلاحظ اليوم – أن الإخلال بهذين الشرطين ، إنما أدى إلى نكبة فلسطين التي نعيشها اليوم بأقصى ظروفها ، فقد سمح لليهود ، وسمح للاستعمار الأجنبي بأن يدوسا بأقدامهم تلك الأرض المطهرة ، وتلك كانت بداية الكارثة ، رحم الله سيدنا عمر ورضي عنه ، وإننا على اقتناع بأن الإلهام العمري كان يقوم بدوره عند كتابة هذا العقد][1] .

وقد استمر بيت المقدس بأيدي المسلمين منذ الفتح العمري إلى سنة ٤٩٢هـ عندما استولى الفرنجة الصليبيون على بيت المقدس ، وقتل آنذاك داخل المسجد الأقصى مايزيد على سبعين ألف نفس ، وبعد أن فرغوا من القتل ، ذهب الناس مطرودين من الشام إلى العراق ، واستمر هذا الحال إحدى وتسعين عاماً ، حتى استرد البيت البطل صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٣هـ ، ثم احتل ثانية في عام ٦٢٦هـ ، حتى تم استرداده نهائياً على يد الملك الصالح عام ٦٤٢هـ .

وظلت تلك الأرض المباركة تحت سلطان الإسلام والمسلمين ، حتى عام ١٩١٨م . عقب الحرب العالمية الأولى ، حين دخلها الجيش البريطاني ، وبعثوا إليها طلائع الصهيونية تحت أعلام وعد بلفور ...

مما سبق يتبين لنا أن الوجود العربي الإسلامي في فلسطين والقدس وجود عريق متواصل من عشرات القرون ، « فحتى عام ١٩١٨ كان الفلسطينيون يشكلون ٩٠٪ من السكان ، وكانوا يملكون ٩٨٪ من الأرض ، أما اليهود فكانوا يملكون ٢٪ من الأرض فقط ...

وفي عام ١٩٤٧ ، كان الفلسطينيون يملكون ٩٦ر٩٣٪ من الأرض ، وكان اليهود يملكون فقط ٦,٠٤٪ »[2] ــ وكل ذلك بعد موجات الهجرة اليهودية التي شجعها الغرب ، وشراء الأراضي تحت حملات التهديد والمذابح للسكان العرب .

وبعد تحويل الصهاينة فلسطين إلى صحراء تاريخية (ماعدا فترات الوجود العبري الضئيلة جداً) حولوها كذلك إلى صحراء جغرافية[3] .

« أرض بلا شعب ، لشعب بلا أرض » ــ كما يقول أحد قادتهم ، إسرائيل ونعويل .

وفي حديث لجولدا مائير لصحيفة اصنداي تايمز – ١٥/٦/٦٩ ، تقول : « لا وجود للفلسطينيين ، واقع الأمر لا يبدو كما لو أنه كان ثمة شعب فلسطيني في فلسطين ، وكما لو أننا جئنا لطرده والاستيلاء على بلاده ، الواقع أنه لم يكن موجوداً أصلاً » .

---

(١) الشيخ محمد الفحام – شيخ الأزهر الأسبق – المصدر السابق – ص ١٦ .

(٢) « النبوءة والسياسة » – جريس هالسيل – ص ١٨٢ .

(٣) ملف إسرائيل .. أحلام الصهيونية وأضاليلها – صحيفة الأهرام ١٥/٣/١٩٨٣ .

ويقول وايزمان ، أحد قدة الصهيونية العالمية رداً على تساؤل لآينشتاين : عما سيحل بالعرب إذا أعطيت فلسطين لليهود ؟ « أى عرب تعنى ؟! ـــ إنهم يكادون لا يعدون شيئا » ويقول مناحم بيجن : « أرض (أرتز) إسرائيل سوف ترد إلى شعب إسرائيل بكاملها إلى الأبد » .

وطبقاً لهذه « المفاهيم » المحتالة : « بما أنهم غير موجودين أصلاً (الفلسطينيين) ، ومع ذلك فهم يقاومون ، فالواجب يقضي بإقصاء هؤلاء الغائبين ـــ الحاضرين ، أو تقتيلهم على طريقة تعامل المهاجرين إلى أمريكا مع الهنود الحمر »[1].

« وكذلك من المناسب أن نذكر بأن تلك « الصحراء » المزعومة كانت تصدر آنئذ الحبوب والحمضيات ...

« فعلى امتداد البلاد كلها ، يصعب العثور على حقل غير مزروع ... »[2] ـــ ذلك ما كتبه أحد الصهاينة الأوائل الذين زاروا فسطين عام ١٨٩١ .

« فقبل مجيء الصهاينة صدر أهل فلسطين ثلاثين ألف طن قمحاً ، وأن مساحة البساتين العربية أصبحت ثلاثة أضعاف بين عامي ١٩٢١ - ١٩٤٢ ومساحة بساتين البرتقال والحمضيات أصبحت سبعة أضعاف بين عامي ١٩٢٢ - ١٩٤٧ وإنتاج الخضروات تضاعف عشر مرات بين عامي ٩٢٢ - ١٩٣٨ .

وبالنظر إلى تقرير قدم إلى البرلمان البريطاني (تقرير « بيل » ١٩٣٧/٢ يتبين لنا مراحل تقدم الزراعة في فلسطين مقارنة بدول زراعية متقدمة في مجال إنتاج الحمضيات :

- فلسطين : ١٥ مليون صندوق .
- الولايات المتحدة الأمريكية : ٧ ملايين صندوق .
- أسبانيا : ٥ ملايين صندوق .
- بلدان أخرى (قبرص - مصر - الجزائر) : ٣ ملايين صندوق »[3].

إن كل شبر في فلسطين والقدس ينطق هروبته بأعلى صوت ، وهذه شواهدنا تدل علينا ، أحجارنا وترابنا وكل شيء ولكن هل يحتاج النهار إلى دليل ؟ ، ولكنها حيلة العاجز المقهور ليس له من عمل سوى الشكوى والصراخ وإثبات الدليل على ما لا يحتاج إلى دليل ، ذلك حتى يأذن الله بتغيير الحال ، قوة من بعد ضعف ، وعزة بعد ذل ، وإصلاحاً بعد إفساد ، وعودة إلى الصراط المستقيم ، ثم تضحيات جسام جزاء على تهاوننا وتقصيرنا وتفريطنا ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ ﴾ . وما ذلك على الله بعزيز .

(١) ، (٢) ، (٣) ملف إسرائيل - صحيفة الأهرام ١٥/٥/١٩٨٣ .

« إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهدها للتسهيل بتحقيق هذه الغاية .. » .

آرثر بلفور – وزير الخارجية البريطاني
« وعد بلفور : ١٩١٧/١١/٢م »